



في مقالات سابقة تحدثت عن الوجه المشرق للثورة، ثم عن مواقف سلبية كشفتها الثورة السورية، وفي هذا المقال سأسلط الضوء على الوجه الداكن المظلم المخزي الذي كشفته الثورة لشريحة من السوريين، ولبيقى الهدف دائماً هو عدم دفن الرأس بالرمال ومعاينة الحقيقة مهما كانت مرّة ثم مباشرة الإصلاح...

إن الحقيقة القاسية التي نستحي منها كسوريين هو تساؤل العالم الحر حولنا: من هم هؤلاء الذين يفعلون بكم هذه الأفعال الوحشية الهمجية البربرية التي أعادت ذاكرة العالم قروناً أو عشرات القرون للوراء؟ مازا نجيب؟ إنهم ليسوا عدواً خارجياً غازياً من وراء البحار...!! إنهم هنا عرب سوريون...!! ويَا ويَحُّ الْعُروبةِ كم لَحْقَ بِهَا مِنَ الْخُزُّيِّ !! ويَا لِعَارِ السُّورَيْنِ وفضيحتهم وسود وجههم... إنهم فئة اغتصبت السلطة عشرات السنين تتنعم بتسعة أعشار خيرات البلاد، وتدع العشر البقية كي يتقاسمها ملايينهم مع كؤوس الذل والقهقر وألوان العبودية والإقصاء، ثم التنكيل والقتل والنفي لمن حاول التململ... ولما اشتم بعضهم عبق الربيع العربي، ورأوا كيف هب جيرانهم في وجه حكامهم قائلين: خذوا ما سرقتم واغربوا عن جوهرنا ولن نتعقبكم.. فقبل أولئك العرض وكان ثمن الحرية معقولاً.

عندما طمعوا بأقل من ذلك.. بعض الإصلاحات... عرضوا طلبهم **بأنف طرق**: سلمية.. سنة وعلوية.. فماذا كان الرد؟ أجمعوا كيدهم وحشدوا جندهم وصبووا حقدهم اللا مبرر على شعب أعزل، فحاصروه شهوراً ليمنعوا عنه الغذاء والدواء وأحياناً الماء والكهرباء، ثم قصفوه عن بعد بالمدافع والدبابات وراجمات الصواريخ، ثم أكملوا بالطائرات والأسلحة الكيماوية والغازات السامة والمواد المشعة؛ فانهارت البيوت على رؤوس ساكنيها من أطفال وشيوخ ونساء، ومنعوا الجرحى من العلاج، والأموات من الدفن، وسالت الدماء في الأزقة، وعلا صرخ الأطفال ونحيب الثكالي والأيام واستغاثات الشيوخ..... وكل هذا لم يشف لهم غليلاً، فبحثوا عن أساليب أخرى لنشر الموت يشعرون فيها باللذة وري الغل... شحدوا سكاكينهم، وأغاروا على البيوت ليذبحوا الرضيع أمام أمه كما تذبح الخراف، ثم تفتسب البنات أمام أبيها وإخواتها والأم أمام زوجها وأبنائها، ثم **يُذبحوا** جميعاً أمام بعضهم البعض.

ومع كل هذا لم يرتووا وظلوا يبحثون عن طرق أخرى يفرغون ما وارته قلوبهم من حقد ولؤم، فصبووا البنزین فوق الضحايا وهم أحياه وأشعلوا فيهم النيران، وقبل أن تأتي النار على كل الجسد قاموا بنحرهم بالسكين ليجمعوا بين الذئبين؛ لذة حرق الأحياء، ولذة الذبح. أما الجرحى فلم تعرف البشرية أكثر منهم وحشية في معاملة الجرحى، فالجريح في نظرهم مجرماً مهما

كانت الطريقة التي أصيّب بها، فقد يكون موالياً لهم جاءته رصاصة طائشة وهو في متجره، لذا اعتاد الناس أن يخفوا جرحاهم عن أنظار الأمن وكأنهم يخفون صندوقاً من المتفجرات، فإذا عثر الأمن على جريح أثناء حملات الدهم والتفيش قاموا بحرق البيت واعتقال من فيه ثم سلموا الجريح إلى مشافيهم التي تضم جمعاً من الممرضات والأطباء يمتلكون من القسوة والوحشية أضعاف ما يمتلكه جنودهم، فإذا صار بين أيديهم قاموا بصب الأحماض أو الماء الساخن فوق الجرح، أو صعقه بالكهرباء وإذاقته ألف موتة قبل أن يموت.

وأما سجونهم فلو أن للشيطان أمنية لتمني أن يطوى له الزمن ليعلم قبائل الهمجية الأولى جزءاً مما برع به هؤلاء في فنون التعذيب الوحشي من صعق بالكهرباء إلى اقتلاع الأظافر وإطفاء السجائر والحرق بالأسيد وتمطيط الفقرات على أجهزة خاصة حتى ينكسر العمود الفقري.. والشبح لساعات كما تشبح الشاة، وسلح الجلد، وقطع الأعضاء التناسلية وثقب الجسد بالمتناقض الكهربائية ودق المسامير... وغيرها مما يصعب إحصاؤه.... ولعل المشهد الذي لا أجد في قاموس اللغة كلمات لوصفه هو كيف تهيج شهوة أحدهم في هذا الكهف الجهنمي من الدماء ورائحة شواء الآدميين وروائح مخلفاتهم التي تخرج منهم في غيبوبتهم تحت التعذيب ليغتصب هؤلاء المدنين الذين تنذر جراهم وينتشي ويلتذ بما يفعل!! أي نوع من البشر هؤلاء؟ والله إن يدي ترتعش وأنا أصور جزءاً من هذه المشاهد التي يعجز البيان عن الإحاطة ببعضها.... لعمري لو كانت نظرية داروين صحيحة لجزمنا بأن هؤلاء قوم لم يكملوا تطورهم إلى الإنسانية بعد..! ولكن الحقيقة الصادمة الصادمة أنهم جزء من النسيج السوري، يعيشون معنا فوق أرض واحدة يشاركونا ماءها وهواءها... هم لم يأتوا من وراء البحار.. فما الذي جعلهم دون غيرهم في هذه الدرجات الهاابطة التي تحتاج سالماً عملاقة حتى ترقى بهم إلى مرتبة البهائم والوحش الضاربة؟! لكن صريحين معظمهم من العلوين وهناك سنة وبينهم طوائف أخرى. وأبرز ما جعلهم بهذه الصورة هو مجموعة عقائد فاسدة أرضعهم الحقد واللؤم مع حليب أمهاطهم، إضافة إلى بीئات مغلقة يسودها الجهل والخلاف في رؤوس الجبال، أو في القرى النائية (بعض الشوايا) التي لم تصلها إشعاعات الحضارة والتطور، وبعض المرضى النفسيين والعقليين من خريجي السجون وعتاة المجرمين.

كم هي مهمتنا شاقة بعد الثورة لنغير هذا الوجه المخزي.. ولأننا مختلفون لا نحمل الحقد والضغينة صار لزاماً علينا أن ن فعل الكثير من أجلهم أياً كانت طائفتهم، نريد أولاً أن نشعرهم بفداحة إجرامهم بعد القصاص العادل من كل من اقترف الجرائم، وأن يحسوا بالخزي والعار من أفعالهم ومعتقداتهم كما فعل النازيون الألمان حتى تتحرر أجيالهم الشابة من تلك العقائد الخطيرة، ولو إلى اللاحينية والتي نجحت في أوروبا في تقدس الكراهة الإنسانية..

* علينا فيما بعد أن نزورهم في قراهم وحسن حوارهم وجوارهم ونرسل المعلمين ونبني هناك نوادي ومشاريع سياحية واقتصادية تعمل على تطويرهم وتنويرهم وتحقيقهم وخرطهم في المجتمع السوري كمواطنين صالحين بعد أن عمل نظام الأسد لعقود على عزلهم ليحافظ على بدائتهم وجههم وعقائدهم - التي تؤهلهم للعيش في القرون الوسطى - كي يسهل عليه سوقهم كقطعان البهائم لتثبت نظام حكمه وليخوضوا معه حرباً قدرة لن تعود عليهم إلا بالويل والثبور إن لم نرحمهم ونأخذ بأيديهم إلى واحة الحضارة.

* **توضيح:** أنا أقصد بمن نحسن حوارهم وجوارهم الفئة التي وقفت على الحياد، أما غيرهم فالجزاء من جنس العمل، وسننسقيهم من نفس الكأس التي أشربوا.

المصادر: